V° ANNEE

السنة الخامسة



MAJALLAT EL MAGHRIB

RÉDACTION ET ADMINISTRATION : Rue Jules Poivre

RABAT

PUBLICITÉ : Agence de Casablanca G. BECKER

137, Avenue Mers Sultan — Téléphone : 03-70

مجلة المغرب

الادارة والتحرير: نهج جول بوافر بالرباط

الاعلانات : فرع الدار البيضاء ج. بيكير

137، شارع مرس سلطان - تلفون 70-03

Prix du numéro : 2 frs.

ثمن العدد 2 فرنك

نظام الصحافة العربية

إن النشرات باللغة العربية يجب عليها بمقتضى الظهائر الجاري بها العمل أن تحصل في بادئ الامر وقبل صدورها على إذن من دولة الصدر الاعظم الذي له الحق في ابطاله وفسخه ، ولحد الآن كان المخزن الشريف باتفاق مع الولاة الفرنسيين قصر هذه الرخصة على مجلة واحدة مصورة واليوم وقد تطور المغاربة تطوراً لا غبار عليه سنحت الفرصة بتوسيع نطاق منح رخص النشر المطلوبة في شأن الصحافة دون انتظار اصلاح نظام الصحافة الحالي الذي سينظر في مجموعه عند ما تتم في فرنسا أشغال تعديل قانون الصحافة المؤرخ في ٢٩ يوليوز سنة ١٨٨١ .

وقد صدر في الجريدة الرسمية تاريخ ٢٢ يناير قرارات وزارية أربعة في منح رخصة النشر وفقاً لنظام ظهير سنة ١٩٢٠ .

وهذه الرخص الاربع تخص جريدة « الاطلس » وسيصدرها السيد محمد اليزيدي بالرباط مرة في الاسبوع وجريدة « العمل » وسيصدرها بالدار البيضاء السيد عبد اللطيف الصبيحي مرة في كل يوم ، وجريدة « المغرب » وسيصدرها بسلا السيد سعيد بن أحمد ججي مرة في كل يوم ، وجريدة « الوداد » وسيصدرها السيد محمد اشماعو والسيد أحمد بن غبريط بسلا مرة في الاسبوع .

وزيادة على الترخيص بصدور هذه الجرائد العربية الاربع فانه صدر أمر برفع الحجر عن جريدة « عمل الشعب » التي كانت تصدر بفاس باللسان الفرنسي .

بلاغ رسمي - نقلا عن السعادة

ذو القعدة — ذو الحجة ١٣٥٥ السنة الخامسة — Ve Année Janvier - Février 1937




تثقيفية عمرانية أدبية MAJALLAT EL MAGHRIB مديرها : محمد الصالح ميسة

تاريخ المغرب لم يكتب الى الان (١)

كم من قارئ ياخذه العجب اذا اطلع على مثل هذا الحكم الذي يخالف ما اعتاده من الاعتقادات المسلمة التي لايتطرق اليها الشك في نظره اذ يجد كتباً شتى بين يديه تباع في الاسواق أو رهينة المكاتب الخاصة أو العـامة يجد فيها كل ما يقنعه من سرد حوادث ووفيات هي الغاية عنده من كل تاريخ ، ولكن ... تاريخ المغرب في الواقع لا زال لم يكتب ، وذلك لان الكتب الموجودة الآن ليست الا عبارة عن مجاميع أو قائمـات لحوادث ماضية يعلم منها القارئ أنها وقعت . والتاريخ في العصر الحاضر لايراد منه ذلك لان هذا العصر بنى علومه على أسس هي المنطق والحساب والتجربة والمشاهدة ، فكل علم لا تتفق قواعده مع نتائج المنطق والحساب ومع ما يقبله الحس وتصدقه المشاهدة وتسلمه التجارب فليس علماً في نظر العلم الحديث . فالتاريخ كما كان يفهمه المؤرخون عموماً والمغاربة منهم خصوصاً لا يمكن أن يعتبر علماً في نظر مؤرخي اليوم ولا استصوب اعتراض من يرى أن ابن خلدون جدد قواعد علم التاريخ بل خلق قواعده التي تبعه فيهـا من جاء بعده لاني احسب ان ابن خلدون لم يجر في كتابه على القواعد التي أسس والقوانين التي دون في مقدمته الثمينة التي لم يكتب في نوعها مثلها بل هي فريدة في نوعها فلم يقلده المؤرخون في قواعده بل قلدوه في تاريخه فكان من ذلك كأنه لم يجدد والحال انه أتى بشيء لم يسبق اليه وانه بذلك لمؤرخ عظيم لو كان له استقلال في الفكر أكثر مما كان عليه ولو أراد الله أن يكون أعظم لاوجد له الاسباب للاطلاع على ما كان عند الامم الغابرة من التواريخ لا بواسطة مؤرخي العرب بل مباشرة من اللغتين اللتينية واليونانية وبعض اللغات الشرقية كالفارسية ليمكن له أن يقابل بين الامم وتواريخها اذ التاريخ لا يحسن الا بالمقابلة ولو أتيح له ذلك لكانت مقدمته أمتن أساساً وأوسع نظراً ولكانت آراؤه في التاريخ والعمران والاجتماع غير التي عرفنا . والعجب كل العجب أن العرب من بعده والمغاربة كذلك لم يستفيدوا من تعاليمه بل منهم من يعتبره شاذاً لا ينبغي اتباعه لانهم اولعوا بالتقليد في كل شيء وخصوصاً في التاريخ بينما نجد ابن خلدون يحاول أن يكون مجتهداً في مقدمته ولان فكرة الاجتهاد في العلم لا تروق علماء العرب من زمان ، ولم يتطرق الجمود الى الفكر العربي الا يوم قال أول عالم جامد : ان الاجتهاد لا يحل للمسلمين بعد آخر عالم من علمائهم توفرت لديه اسباب الاجتهاد .

**

(١) بمناسبة ظهور كتاب عن مراكش.

ورغماً عن ذلك فانا نجد بين مؤرخي المغرب من أظهر استقلالا في الفكر ووجهة نحو التجديد مثل أبي القاسم الزياني وأظهر مظاهر التجديد في كتبه هو تصريحاته بآراء تخالف ما كان يراه المؤرخون في اشخاص كانوا محل تقديس المغاربة ، وربما تلاه في ذلك الضعيف الرباطي الذي ذهب به التحيز اقصى مداه اذ ربما لم يكن اشهاره مثالب من كتب عنهم حباً في الحق وانما مبعثه الغرض والشهوة ولكن لولا ذلك ما كنا لنعلم بعض التفاصيل التي تتعلق ببعض الملوك الذين عاش في دولهم .

وهذا الذي نشير اليه من استقلال في الفكر هو بعض ما ينقص تاريخ المغرب فما دام اعتمادنا على كتب التاريخ المتداولة وقبول ما فيها كانه قضايا مسلمة والحال انها مجرد سرد حوادث فتاريخ المغرب لا زال لم يكتب وسيبقى في حيز العدم رغماً عن كونه اهلا لشدة الاعتناء به ، هذا زيادة على أن كل تاريخ عام لبلد من البلاد لا يمكن أن يكتب نهائياً الا اذا كانت الروح السائدة فيه ذلك الاستقلال في الفكر والحرية في الانتقاد ، هذا فيما يخص معناه .

⁂

ثم ان تاريخ المغرب لا يكتب كتابة نهائية ما دامت حفرياته لم تتم حتى يعلم ما كان عليه ايام الرومان ومن كان قبلهم فيه زيادة على انه لا يعرف بالضبط حقيقة اصل سكانه : فمن قائل أنهم ساميون ومن قائل انهم حاميون والغير يدعي أنهم من أمم الشمال اخوان بعض الامم الآرية وغير ذلك من الاقوال التي لا تنبني الا على ظنون وفروض وتخمينات ومقاربات لغوية لا يمكن الآن البت فيها والاعتماد علمياً عليها .

⁂

كما أن تاريخ المغرب العام متوقف على كتابة تواريخ تفصيلية لجميع نواحي البلاد كل ناحية على حدة مع الاهتمام بتاريخ جميع ما في تلك النواحي من عناصر سكانها ومدنها ومعاهدها وحركتها العمرانية والاقتصادية والصناعية وتطور الفكر والدين فيها وعلاقاتها بغيرها من النواحي والاقطار الخارجية وأهميتها في مجموع تاريخ المغرب وأثر أهلها فيه وعصبية العائلات الكبرى التي تمكنت فيها وكانت لها فيها دولة وصولة ورجال ، كل ذلك مفصلا تفصيلاً لا يغفل فيه شأن من الشئون . هذا بعد ما يتم تأليف جغرافية عامة مفصلة لبلاد المغرب تكون كالمقدمة لذلك التاريخ .

⁂

ومما يجدر بالذكر هنا أن تاريخ علائق المغرب بالدول الاجنبية لا يذكر في التواريخ التي بين ايدينا [1] الا عرضاً وقلما يجد الانسان تفصيلاً شافياً عن سفارة أو معاهدة أو بعثة أو مؤتمر والسر في ذلك على ما يظهر التعويل على المواد التي يجدها المؤرخ بين يديه وهي في الغالب كتب من قبله خصوصاً اذا لم يكن معاصراً للحادث الذي يريد الكتابة في شأنه . [2]

وقد تنبهت حكومة الحماية الى هذا النقص البين في تاريخ المغرب فقامت بمعونة وزارة الخارجية بفرنسا الى سد هذه الثلمة بعض الشيء فأسست منذ زمان طويل اللجنة التي كان يرأسها العلامة المؤرخ الكلونيل دوكاستر de Castries فقام هذا بنشر عدة أجزاء جمعت عدة وثائق قيمة تتعلق بعلائق المغرب بالدول الاجنبية كفرانسا وبريطانيا العظمى وغيرهما وعين بعد وفاته في ذلك المنصب لاتمام عمله

(١) يستثنى منها كتاب الشريف المولى عبد الرحمن بن زيدان .
(٢) كتاب مؤرخي الشرفاء للاستاذ المستشرق مسيو ليفي بروفانصال .

صديقنا بيير دو سنڤال Pierre de Cenival الذي كان قبل هذا قيما للخزانة الكبرى العمومية بالرباط ، ولقد قام الاول والثاني بخدمات جلى لا يقدرها حق قدرها الا من علم شدة احتياج المؤرخ الى مواد تاريخية حين يريد كتابة شيء عن المغرب . وسينتفع بنتائج عملهما المؤرخ المغربي النفع كل النفع ، ولا زال مسيو دو سنڤال مثابراً على العمل ولقد أحسنت الحكومة الاختيار حين عينته للقيام بتلك المهمة التي يعده لها كل ما أعطيه من المواهب للبحث والتنقيب وما حصل عليه من الثقافة الخاصة بذلك حيث انه خريج من مدرسة شارط Ecole des chartes التي يتخرج منها العلماء المنقبون العارفون بالخطوط والمخطوطات والبحث في الخزائن وتبين حقيقة الوثائق الرسمية والخاصة .

***

وقبل أن تسنح لي فرصة لنشر فصول عن الكتب المؤلفة أخيراً عن تاريخ المغرب فاني بمناسبة صدور أول جزء من كتاب فضيلة الفقيه العلامة المشارك المؤرخ السيد العباس بن ابراهيم السملالي المراكشي اغتنم هذه العجالة للكلام على الكتاب المذكور .

قد اسمى الفقيه القاضي كتابه هذا : « الاعلام بمن حل أغمات ومراكش من الاعلام » وهو كتاب ضخم يخرج في ثمانية أجزاء من القطع الكبير ذات ٤٠٠ صحيفة للجزء يتكون بمجموعها مما يزيد على ٣٠٠٠ صحيفة عبارة عن شبه موسوعة أو معلمة جمع فيها جميع ما يتعلق بمراكش ضمن ١٥٠٠ ترجمة لملوك ووزراء وعلماء وفلاسفة وأطباء وأولياء ومؤسسي طرق وقواد وباشوات وعمال وغيرهم ممن ولد أو سكن أو زار أو توفي بمراكش وكان له ذكر يذكر به في التاريخ . وفيه تراجم شخصيات مغربية لم يترجم لهم الى الان أحد لقرب العهد بهم كالوزير أحماد ابن موسى والوزير المحنك المدني الكلاوي المزواري صنو سعادة باشا مراكش المفضال الحاج التهامي الكلاوي والشيخ ماء العينين الشنقيطي والشيخ أحمد الهيبة وبترجمته يختم الكتاب حين تصادم حملته حملة الجنرال مانجان بسيدي عثمان ويخرج من مراكش سنة ١٣٣٠ (١٩١٢) .

وكل من يعلم لصاحب الكتاب من الاطلاع الواسع وغزارة مادة معلوماته ومشاركته في جميع العلوم التي يمكن لعالم مغربي في سنه أن يقتنيها يعلم ما هي قيمة هذا الكتاب الذي جمع فأوعى وضم بين دفات أجزائه جميع ما أمكن لصاحبه أن يجمعه في تاريخ مراكش منذ تاسيسها الى معركة سيدي ابو عثمان بين جيوش مانجان والقبائل التي كان يرأسها أحمد الهيبة .

وأول انتقاد نوجهه على طبع الكتاب هو القالب الذي اختاره له والاولى طبعه في قالب دون المتوسط وأكبر من القالب الصغير اذ هو القالب الموافق لكتاب تاريخي ، واضافة بعض الصور للمعاهد والمباني التي بمراكش والتي يتكلم عنها في كتابه وكذلك جعل خريطة لمراكش وناحيتها بالعربية تعين القارئ على تفهم الكتاب خصوصاً والاسباب ميسرة لذلك .

***

هذا وان مراكش لمن كبريات مدن المغرب التي لها من فخامة المجد ما يجعلها في مقدمتها وانها حقاً لمدينة بالمعنى الذي يطلقه علماء العمران على المدن التى تتكامل فيها جميع انواع الرفاهية وملذات العيش واسبابه ، ولمناخها محاسن ومزايا لا توجد في مناخ غيرها كما أن وجوها بين شمال المغرب وأقصى جنوبه يجعلها ذات اهمية من حيث الاقتصاد

والحرب ولقد كان ولا زال لها ذلك المقام اذ هي باب الصحراء والسوادين ومنها تصدر اليهما نتائج الحضارة المغربية والاوربية الحديثة يدخلها في كل شهر مئات آلاف من السواح والزائرين ومريدي البيع والشراء من أقصى سوس الى أقصى حدود المغرب كل لقصد من المقاصد فهي رائجة الصنائع والتجارات تصرف فيها الملايين العديدة في كل يوم ولو علم بعددها صاحبنا الذي كتب عنها مجالته[1] لما قال في حقها : انها « من الصعب أن يطلق عليها حتى لفظ مدينة » أو هي كما قال : « إلا قرية ضخمة ممتدة في بسيط احمر من الارض... » بل هي المدينة والالف واللام للكمال بل هي مدينة ذات روح اذ من المدن من لا روح لها وأعني بروح المدن ماضيها التاريخي وذكرياتها التي تتسابق الى فكرك كلما زرتها وأقمت بها وحنت عليك أفنان بساتينها وتفيئت من وريف ظلالها .

وما أكثر ما يصيب الناس في إطلاقهم بعض الالقاب على المدن والقرى، من ذلك اطلاقهم «البهجة» على مراكش اذ هي حقاً بهجة النفس ومغنى الانس كما قال والد صديقنا عبد الكريم سكيرج في أبيات من رحلة الى الجنوب:

مراكش الحمراء وما أدراك ما ☆ مراكش ذات البهى الفتان
هي بهجة الدنيا بمغربنا الذي ☆ ينمى لها في سائر الاوطان

تتجلى في مراكش الحضارة المغربية في أجلى مظاهرها سواء في مبانيها أو تقاليد اهلها وعوائدهم ، ناسها أنس وأهلها أهل يغنون عن الاهل عرفوا بلطف النكتة وحلاوة الحديث والمجاملة في المعاملة وكرم الاخلاق .

عبد الكبير الفاسي

(١) مجلة المغرب : صحيفة ٨ الجزء الخامس عدد ربيع الثاني ١٣٥٥ .

غزل العقاد

في الايام الاخيرة من شهر رمضان الفارط ألقى الاديب النابغ سيدي أحمد أب حنين بقاعة المحاضرات بالمدرسة الثانوية الادريسية محاضرة حول غزل العقاد الشاعر المصري المشهور نالت استحساناً عظيماً من جمهور الادباء، ونحن مغتبطون اليوم بنشر هاته المحاضرة، وننتهز الفرصة لنسدي للمحاضر أجل تشكراتنا على ما يبذله من جهد في خدمة الادب العربي كما أننا نهنئ جمعية قدماء المدرسة الثانوية على ما تقوم به من تشجيع الادباء وحفز هممهم :

أيها السادة ! في هذا المعهد العزيز قضيت مع رفقاءي النبهاء برهة من الزمان ونحن في زهرة الحياة وربيع العمر تلقينا فيها من أساتذتنا الكرام دروساً قيمة في الآداب العربية ، في ذمة الله ذكرى تلك الايام العذبة القصيرة التي لا زالت عذوبتها في القلب وشذاها في الخاطر ، تلك الايام التي نحن اليها ونود — لو تغني الودادة — أن يرجع العمر بنا أدراجه حتى نحياها مرة ثانية ونتمتع في مستقبل الحياة بما لقينا فيها من غضارة العيش وبشاشة الامل .

في تلك اللحظة التي أغمض الدهر فيها جفنه طفقنا نعرف الشعر العربي وشرعنا نفهمه ونحبه . إلا أننا كنا أشد شغفاً بالشعر الاموي وبالاخص شعر الغزلين الذين نشأوا في بادية الحجاز أو حاضرته مثل قيس بن الملوح وقيس بن ذريح وجميل وكثير وعمر بن أبي ربيعة والعرجي ومن على شاكلتهم ، كنا نعجب بهم جميعاً على اختلاف طرقهم في الغزل لانهم كانت تجمعهم وحدة التنويه بالجمال والتغني بالحب وتربطهم رابطة صدق اللهجة وتوقد العاطفة وبساطة التأدية .

ولا بدع ان نحن أقبلنا على شعر الغزلين فكل منا يعلم علم اليقين ما للحب من السيطرة على قلوبنا والنفوذ

في نفوسنا في أي طور من اطوار حياتنا وهل بنا من حاجة الى التنبيه على أن الاطفال انفسهم ابان الرضاع في قبضته وتحت حكمه وهل معنى الحب المألوف سوى الرغبة في الاستيلاء والاستئثار ، فمن ذا الذي لم يشاهد هذه الرغبة في الاطفال مع ما تستلزمه من الغيرة الحادة عند ظهور المنافسة والزحام ولو على سبيل الدعابة والمزاح .

أما الشيوخ فليسوا كذلك في حل من أمره ولا يقيهم سهامه ذبول الشباب واستحالة الاهاب ، ومن المعلوم أن القلب لا يكبر بكبر السن بل يبقى أخضر يانعاً ولو بلغ أقصى العمر ، ولو صح لنا أن نزيد على المثل السائر لقلنا : السيف قد ينبو والجواد قد يكبو والشيخ قد يصبو .

عاطفة الحب مركوزة في جميع الطباع فلذلك ترتاح النفوس لذكره وتطيب عند ما تسمع نجوى العاشقين وتسر بما يقاسونه من ألم الوجد وتبريح الجوى .

وقد فطن الشعراء والحكماء والفنانون لهذه الخصلة الروحية فاستغلوها واتخذوها ذريعة الى جلب الناس اليهم ودفعهم الى الاقبال على ثمرات قرائحهم ، فما من رواية قصصية أو تمثيلية تنشر اليوم على صفحات الكتب أو تمثل في المسارح أو تعرض على مناظر السينما الا ولحمتها الجمال ومحورها الغرام وان كان المقصود بالذات شيئاً سواهما ، وليس الباعث على استعمالهما سوى قوتهما على اسر اللب وتنبيه الخاطر واسترعاء النظر واعانتهما على تقرير معان شتى في الذهن كالغلاف الحلو تغشى به حبة الدواء الذي تصعب اساغته ، ألم يفطن لذلك شعراء العرب في القديم فاستهلوا قصائد المديح بالنسيب لاستلفات سمع الممدوح والحاضرين .

اذا علمتم هذا علمتم أهمية الجمال والحب في الحياة ومقامهما في الآداب والفنون وتبين لكم السر في اقبالنا على شعر الغزلين من شعراء الحجاز في القرن الاول للهجرة لانهم في نظرنا بلغوا بالغزل العربي درجة عالية حاز فيها حظاً وافراً من الجودة والرواء .

كنا مقبلين على شعر هؤلاء بقدر ما كنا معرضين عما قاله شعراء القرون الاخيرة لما تورطوا فيه من الانحلال حتى صار الغزل عندهم عبارة عن وصل الالفاظ بعضها واستعمال صيغ محفوظة لا تنطوي على معنى لطيف أو عاطفة قوية وتداولت بينهم القاب واصطلاحات وتشبيهات تواردت بكثرة على السمع حتى ملها وسئمها .

أصبح الغزل بذلك ضرباً من عبث الاطفال واصبحنا لا نلتفت لغزل المتأخرين لا لأنهم متأخرون بل لأنهم وصلوا الى الدرجة السفلى من الاسفاف والسقوط ، فقد فقد شعرهم كل حياة ، وصارت القصائد والمقطعات كباقات الازهار المصنوعة من الاوراق المصبوغة التي ربما دلت على مهارة الصانع ولكن شتان ما بينها وبين الازهار الحية النامية في الحدائق ، المتبرجة في الوانها الطبيعية ، التي يترقرق رونقها ويضوع شذاها فاذا الخيال يمعن في الاسترسال واذا الروح يرفرف في جو السرور ، ونحن اذا قرأنا غزلا نود ان نراه صادراً عن السليقة ونحب أن نجد فيه صدى العواطف التي تختلج في نفوسنا وتبقى مبهمة علينا حتى يعمد اليها الشاعر الملهم فيميزها من غيرها ويبرزها في قالب دقيق جميل حاز حظه من الصدق وحسن السبك .

هذه كانت حالنا عند ما عثرنا على ديوان العقاد ففتحناه وقرأنا فيه :

انا الليل والسحر القدير أخو الدجا
قديماً فماهدني ألست بساحر
ألست ترينا حسن وجهك مفرداً
على حين اشراق الوجوه السوافر
ألست ترينا القفر جنات رحمة
اذا شئت والجنات شبه المقابر

فياساحراً اني لسحرك هيكل
فزخرف بوشي السحر كنز ذخائري
ويا ساحراً ما السحر الا ابتسامة
تشب بها روحي وتطفئ نائري
تبسم ألا يرضيك ان ابتسامة
بثغرك امضى من صروف المقادر
وان السموات العلى لا تنير لي
طريقاً، ولكن انت تهدي ضمائري
وان رياض الارض ليست تسرني
بشيء، ولمح منك يفعم خاطري
وأن جميع الناس لا ينصرونني
وان جهدوا، لكن حبك ناصري
وانت الى لهو الطفولة مرجعي
ولن يستطيع الدهر ارجاع غابري
فلا تبتعد عني فانك راجع
متى تبتعد عني بصفقة خاسر
ومن لك بالقلب الذي انت مبصر
به كل اعجاز لحسنك باهر
تراه عصيا ـ ان نأيت ـ على الرضى
ولا قلب ارضى منه ان كنت زائري
وفي الناس مطويّ الضلوع على الشجا
ولا مثل شجوي بين باد وحاضر
اذا شاركوني في هواك فما لهم
سروري بما اصفيتهم وتباشري

فلم يكن طرب العطشان الهائم في الصحراء عند وجود الماء البارد باشد من طربنا حين أسعدنا الحظ بالعثور على هذا الشعر وجدنا إذ ذاك غزلاً مطبوعاً بطابع روح غريب النزعة جديد اللهجة يروع القلب لاول وهلة ويسحر النفس على البديهة وكلما زدناه تأملا ودرساً زادنا إفادة وإعجاباً.

من مزايا هذا الغزل وخصائصه الصدق، يصف العقاد ما يجول في خاطره من غير افراط ويفضي الى القارئ بكل ما يختلج في قلبه من غير زيادة ولا نقصان فصدقه يبدو لنا في مظهرين القصد والامانة.

لا نجد في شعر العقاد أدنى ميل الى الاسراف فاذا تكلم على الحب وما يهيجه من عطف وشوق وحسرة وعذاب وبغض جنح الى الاعتدال في الاداء، وتجنب الاسراف والتقصير، فلا نجد في غزله مثلا انه انحله الحب حتى خفي أو كاد يخفى عن العيان أو أنه غرق في بحار دموعه أو سال دمه من مئاقيه أو غير ذلك من الخزعبلات مما يستحيل في الطبيعة البشرية، فاذا كان عنده موجب للبكاء وهل موجب البكاء سوى أن يعطف المرء على نفسه انهملت دموعه، فاذا اخبر عن ذلك قال في بساطة واقتصاد:

ولما تقضى الليل الا أقله
وحان التناءي جشت بالدمع باكياً

وفي بعض الاحيان ربما بلغت به الانفة من الدموع الى أن يساوره الندم عقب البكاء فيلوم نفسه ويقبل على حبيبه يحتقره ويسهل امره وينقص من قدره فلا يهدأ باله حتى يرسل بسهم غمس في سم السخرية والاستهزاء آخذاً بالثار وحباً للانتقام فيقول مثلاً:

غفر الذنب من بكاءي عليك	انني لا أعود ما عشت أبكي
لا يساوي وقد تعلمت منك	نسل حوائكن دمعة شك

خير ما في النساء ساعة ضحك

وكم من مرة يحتجر الدمع في عيني الشاعر ويذهب الالم والالتهاب الى أقصى مداهما وتبقى الغصة معترضة كالشجا في الحلق ويود أن ينهمر الدمع وتسيل العبرات لتخفف شيئاً من شدة الحريق، ولا تفوت العقاد هذه الحال حتى يصفها وصفاً دقيقاً فيقول:

ياغزير الدموع! أين الدموع؟	كم تريد البكا وما تستطيع
كيف سلواك والفؤاد بما يسليه	في فاجعاته مفجوع
لهف نفسي عليك يا قلب يابى	فيك الا الكمون داء وجيع
عبرات، برء الجوى لو اريقت	وسمام حتى تراق نقيع
كنت فيك لا تفيض ولا تبرد	فالصدر من شجاها صديع
نضب الدمع أم مجاريه سدت	أم فؤادي ناموره مقطوع

كلما رمت في الجوانح مـاء | هاج للنار بينهن سطوع
من يذق غصة الشراب فما بي | غصة غير أن تفيض الدموع
انما الحزن ريض ما استقى الدمـــــع واندى الاحزان حزن رضيع
يحرق الجمر يابس الحطب الجز | ل ويابى الحريق لدن مريع
فيك يا حب كل هذا ؟ فبعداً | لك داء ترياقه ممنوع
غمرات وخدعة وجهاد | وسهاد وحسرة وولوع

فأين من هذا قول الذين غرقوا في بحار الدموع ـ لا أتقدم الله ـ أولع بعض الشعراء بالمبالغة وخيل اليهم أنهم كلما زادوا في المعنى وأسرفوا في الزيادة اكتسب شعرهم بذلك رونقاً وجمالا مثال ذلك قول ابراهيم ابن سهل في موشحه المشهور :

تركت اجفانه من رمقي | اثر النمل على صم الصفا

فكما أن النمل لا يترك أثراً عند ما يدب على الحجرة الصماء كذلك أجفان محبوبه لم تبق بقية من رمقه ، فهذا البيت وان كان جيداً من حيث الصياغة والتعبير لانه يؤدي بقوة ما قصد اليه الشاعر من انمحاء روحه فهو غير جميل من حيث المعنى لبعده عن الواقع ولا ينبغي أن يخدعنا ظاهره المموه عن باطنه المشوه ، وهذه المبالغة التي كثر طروقها عند بعض الشعراء ليس المقصود منها سوى تمكين الأثر في ذهن السامع أو القارئ بتفخيم المعنى المراد وتعظيم شأنه فيكون ذلك ادعى الى الانتباه والالتفات ، إلا أن الناس امعنوا في الاغراب وجاوزوا القدر المحمود الى حد السخف ، واغرقوا في المبالغة الى درجة الاستحالة ومجانسة الكذب وأصبح مثلا عند ادباء القرون الاخيرة قولهم في الشعر : أكذبه اعذبه ، أما ذوق القدماء في هذا فهو فيما نعلم أسمى وأشرف فاننا نرى المبرد يقول في كامله على ذكر الافراط ما نصه : واحسن الشعر ما قارب فيه القائل اذا شبه ، واحسن منه ما أصاب به الحقيقة ونبه فيه بفطنته على ما يخفى عن غيره وساقه برصف قوي واختصار قريب .

(البقية على صفحة ١٣)

نظرة في المصطلحات العسكرية

العربية الحديثة

ألف مجمع اللغة العربية الملكي بمصر في اجتماعه الاخير لجنة لوضع كلمات عربية للمصطلحات العسكرية المستعملة في الجيش ، وبهاته المناسبة ننشر هنا بحثاً في الموضوع للعلامة الاستاذ الاب انستاس الكرملي عضو اللجنة نقلاً عن جريدة البشير البيروتية ، وبحث الاب انستاس الكرملي يؤيد ما كنا لاحظناه في عددين سالفين بشأن علاقات المجمع المصري بافريقية الشمالية مما هو مبسوط في محله :

كان العرب في صدر الاسلام وقبيله ، يستعملون لجندهم ألفاظا عربية خاصة بهم ، وأكثر هذه الالفاظ تداولا على الالسن : الامير ، والقائد ، والرئيس ، والنقيب ، والعريف . ثم تنوسيت ، حينما قبض الترك على الصولجان ، في جميع الديار التي كانت بأيدي بني العرب . فدخلت الاوضاع التركية في الكلام ، وتمكنت من النفوس ولم يبق منها في الاستعمال شيء يذكر .

ولما استرجع العرب ربوعهم القديمة ، وانتزعوها من أيدي مناوئيهم انتزاعاً أخذوا يستعيدون اسلابهم شيئاً بعد شيء ، وأول ما كان ذلك في المغرب الاقصى ، فان احد اصدقائي ، وهو الامير مصطفى بك ابراهيم ذي كورتين M. I. B. B. de Courten ، كلف بأن يضع الفاظاً ، لتنظيم جيوش تلك الديار ، جيوش الشرطة لتقام على اسس قويمة ، حديثة عصرية . فابدع في ذلك الوضع ، وأدخل الفاظاً جمة للامرة ، فرضي بها ، بل سر بها اولو العقد والحل ، وكانت في السابق مركبة ، ومخلوطة بكلم فرنسية ، وانكليزية وايطالية والمانية واسبانية ، بموجب الرؤساء الذين اتي بهم لتعليم الاصول العسكرية لابناء المغرب الاقصى . وكان الصديق قد أتمّ هذا العمل الناهك في سنة ١٩٠٥ ، ثم نشره في كتيّب فرنسيّ في سنة ١٩٠٦ ، وطبعه في طنجة في المطبعة المغربية .

أما المصريون ، فكانت لغتهم مزيجا من الفاظ لغات مختلفة ، لاسيما التركية والانكليزية . ثم لما أنشأ الامير فيصل دولته في الشام ، اجتمع ادباء من سوريين وعراقيين ولبنانيين ، فتواطؤوا على اوضاع

جديدة ، كانت حسنة في حد ذاتها، لكنها لم تكن بالقول الفصل، فوضع حينئذ احمد تيمور باشا مصطلحات جديدة ، انتزعها من كتب مؤرخي العرب فكانت أفعل في النفس من سواها ، ثم جاء العراقيون، فوقفوا على كل ما وضع في هذا السبيل ، فاستحدثوا مصطلحات ، هي اليوم احسن المصطلحات العسكرية في لغتنا الضادية وان لم تكن الاخيرة في حينها .

لنعد الآن الى المصطلحات العسكرية المصرية : ان سكان النيل كانوا مرتبطين بالترك ارتباطاً وثيقاً ، فدخلت في لغتهم الفاظ لا تحصى ، ولا سيما في الجندية اذ كانوا قوادهم الاكابر من الترك ، وكان على المصريين أن يساعدوهم في مهنتهم . ومن غريب الامر ، أن الترك مع كل تعلقهم بوطنيتهم ووجود الفاظ في لسانهم تؤدي ما يهوون من المصطلحات ، أدخلوا في بعض الاحيان طائفة من الكلم ، ليكون لها وقع في النفوس ، وتاثير فعال فيها فاذا أمروا استعملوا كلة هي (مارش Marche) للدلالة على المشي بعزم وحزم وثقة وقوة ، مع أن لهم كلة في لغتهم هي (يورو) في هذا المعنى . ثم تلقفها أيضاً من الفرنسيين الالمان ، مع أن لغتهم أوسع من أن تضيق بمثل هذه اللفظة ، فلهم مثلاً في هذا الاداء Gehen أو Wandeln أو Spaziren وهناك غيرها ، فلغتهم أوسع لغة عسكرية ، لو أرادوا أن ينطقوا بألفاظها اذ هي لغة عسكرية من غير نكير ، وابناؤها متحمسون في وطنيتهم ومع ذلك يقولون (Marche مارش!) كما ينطق بها الفرنسيون الصميم ، لانهم وجدوها أخف لفظاً ، وأرشق نطقاً ، وأسرع تأدية واوفى مراماً ، وأصدق فعلاً في المامورين ، ولو التقطوها من ألسنة خصومهم الفرنسيين !!! ولم يكتفوا بذلك ، بل اقتبسوا منهم غيرها لكنهم يكتبونها كتابة خاصة بهم في بعض منها ، فيقولون Armée و Armée Korps و Kavalerie الى اشباهها ، مع وجود Heer للجيش و Reitered للفرسان الى ما يضارعها عندهم .

وأما الرتب العسكرية ، فان أهل المغرب الاقصى اتخذوا كلة القائد للدلالة على ما سماه بعضهم (الضابط) بوجه عام ، والضابط كلة من وضع الترك وهي قلقة في وضعها بل سيئة في موطنها والسبب أن الضبط لا يفيد عملاً خاصاً بأعمال الجندورؤسائهم . أما الذي يفيد هذه الفائدة فـ (القائد) ، وهو اللفظ العربي القديم الذي ترامى ذكره في منعتق الآفاق ، وهو الواجب علينا اتخاذه ، لانه من مصطلحات الاقدمين بل من أقدم المصطلحات التي سبقت الاسلام بعهد بعيد ، فان نصارى العرب لما نقلوا الانجيل — وفيه ذكر رئيس المائة — قالوا (قائد المائة) وكانت هذه الكلمة من مصطلح العرب في جزيرتهم كما تشهد عليه كتب المغازي والحروب والفتوحات المختلفة ، الا أن بعض الواضعين المحدثين ، لما رأوا في كلة ضابط اشتقاقاً عربياً ، تركوه على علاته ، لانهم ظنوها من وضع السلف . وليس الامر كما تخيلوه . وهو أوضح من أن يذكر او يشار اليه بالبنان .

فأهل المغرب الاقصى عملوا برأي مصطفى بك ذي كورتين ، واتخذوا كلة (قائد) ، ونبذوا عنهم ظهريا (الضابط) ، وما عليه من اللباس العربي في الظاهر لما فيه من قبيل وضع الاشياء في غير موضعها ، ثم انتقلوا في تدريج القائد الى (القائد الاعظم) و(القائد الاعلى) لكنهم أبقوا كلة (الملازم) في مكانها ، وكان عليهم أن ينبذوها نبذة النواة ، ويقولوا في مكانها (القائم) لانه يقوم بشؤون جنده ، أو أن يسموه (العون) وقد جاء هذا الحرف في مدوناتهم بمعنى واسع فيحصر عليه هنا لان مفاده هنا هو هذا المطلوب الآن ، أما الملازم فمن اللازم أن ينفى الى مخرجه ، اذ لا معنى صادق له يؤيد هذا الاستعمال أو يوجهه توجيهاً مقبولاً ، اللهم الا أن يكون ببعض تكلف أو تعمل ، كما لا يخفى على البصير الحاذق الرأي ، والباحث المتقصي للامور .

وعند المغاربة (الملازم الاول) ، و(الملازم الثاني) ، بمعنى (القائم الاول) و(القائم الثاني) و(العون الاول) و (العون الثاني) . وعندهم فوق الملازم (قائد المائة) و(المائة) عندهم هي (السرية) في مصطلح الجيش العراقي . وعندهم (قائد الطابور) ويلفظونها بالطاء كما ترى . وهي قديمة وقد استعملها ابن خلدون في كتابه ، وقد تحذلق بعضهم فقال : هو (التابور) أي بالتاء وهذه أيضاً موجودة في دواوين اللغة ، لكن التي بالطاء أقدم عهداً واستعمالاً ، وأرسخ في النفوس والكتابة . ويرى فوق (قائد الطابور) عند المغاربة ، (قائد الرحى) الذي معناه (رئيس الكتيبة) عند العراقيين . و(الرحى) بديعة الوضع ، لانها تعني حومة الحرب . وقد تكون أو تحدث أو تقع هذه الحومة ، من اشتباك كتيبتين الواحدة بالاخرى . وعلى هذا السنن جرى أهل المغرب الاقصى ، في الوضع العربي الصميم ، مع ألفاظ أخر دخيلة ، ليست من اللسان الكريم وكل ذلك باشارة الصديق ابراهيم بك ذي كورتين ، خريج احدى مدارس سويسرة العليا .

فنحن اليوم في حاجة ماسة الى أن ننتقي الاوضاع المبينة المتينة من جميع ما وضع الى الآن ، حتى يكون مصطلحنا في أمكن

موطن من الوضع . ويجب علينا أن نهرب كل الهرب – بل هربنا من الجذام – من الكلم المخلوطة بصبغين متناقضين : بالابيض والاسود، أي بالعربي والتركي أو بالعربي والاعجمي ، كقول المولدين في عهد المماليك دو يدار وعلمدار وشمعدان الى أمثالها .

ونرى الى الآن في مصر مثل هذه الحروف المنكرة التي يستقبحها كل عربي غيور على لغته ، فيقولون مثلاً (اولجي أورطة) للطابور الاول ، ويسمون الرابع (اربجي اورطة) ، فالاولى منهما غريبة لا تخفى على نظر البصير وذوق الخبير ، لكن الثانية ضربت في مناكب الغرابة والغُربة وآباطهما ، لانها تحتمل ثلاثة معان ، فاربجي قد تعني (التبّان) أو بائع التبن ، لان (ار ّبه) التبن و(جي) أداة كاسعة تركية بمعنى ذي أو صاحب أو بائع أو نحو ذلك ، وقد تفيد معنى الحوذي أو سائق العجلة من (الامة) أي عجلة أو مركبة و(جي) الاداة الكاسعة المذكورة ، وقد تؤدي الى معنى (الرابع) على الطريقة التركية وقد تعلق اللفظ التركي بآخر اللفظة العربية تعلق العبد الاسود باهداب ثوب سيده الابيض الحسيب النسيب الناعم الاديم . أفهذا كلام عربي قح ؟ ام كلام شيخ هِمٍّ يقح ؟ بل هو كلام ليس بالعربي ولا بالتركي ولا بالهندي ولا بالصيني ، بل ليس بالمالطي ، مع ما فيه من آيات العجائب ومهشمات الغرائب .

واختم كلامي هذا بالاشارة الى ما في خزائن الكتب من المؤلفات العسكرية الحديثة ، المترجمة من الفرنسية أو الانكليزية أو الايطالية ، ومن يتولى دراستها يفز بما يعود عليه بالفائدة ، فعسى أن نبلغ الغاية التي نتوخاها من اهتمام الادباء والعلماء بالاوضاع الحديثة لتسلم لغتنا من عين كل عائث وماتث .

الاب انستاس ماري الكرملي

اداء الترتيب

ذكرت جريدة «الديبيش تونيزيان» في محلياتها بالامس ان ابطال اداء العشر بالبلاد التونسية كانت له تأثيرات مختلفة ، وقد كان لهذا الاداء المضروب على الفلاحين انصاره واضداده وحيث وقع تعويضه بضريبة على الحيوان فان اهالي الوسط والجنوب وكذلك مربو الحيوان لم يسروا لهذا الاستبدال وذلك أمر طبيعي .

لكن من الامور التي يجب الاعتراف بها هو أن اداء العشر كان دائماً وابداً مستنكراً لدى الفلاحين لا من حيث كونه أداء بل من جراء ما يحف بتوظيفه واستخلاصه من ضروب التكدير والاعنات .

وقالت تلك الجريدة أن ما وقع بالبلاد التونسية من أبطال العمل بهذا الاداء قد حمل بلداناً اسلامية اخرى على طلب مثل ذلك من حكوماتهم .

فسوريا مثلاً قدمت العريضة الآتية في هذا الموضوع : « ان فلاحي سوريا يطلبون اعفاءهم من الاعشار التي هي عبارة عن اداء مكدر في نوعه ولا تنجر منه مداخيل كبرى للحكومة » . وقد عقد نواب الفلاحة جلسة وشكلوا لجنة لتتولى مع وزارة المالية درس امكانية الاسعاف بالاعفاء المطلوب . ويذكر أولئك النواب أن ما لا يدخل لصندوق الحكومة يمكنها أن تعوضه بارباح مضاعفة اخرى نظراً لحسن الحالة في هذا الموسم الفلاحي .

وقد تساءلت جريدة «الديبيش تونيزيان» عن أوجه التعويض بأرباح مضاعفة من نوع آخر حيث لم يقع تعيينها من طرف اولئك النواب .

(النهضة)

جامعة القرويين

وأطوارها الزاهرة في التاريخ

ليس من ينكر ان العلم أساس كل حضارة ، وغير خاف أن المدنية الاسلامية التي يرجع اليها أعظم الفضل كانت قائمة اسسها على العلم وحده ، وقد حدثنا التاريخ عما كان للاولين من الشغف بالعلم والعناية بنشره في ممالك الاسلام. فبغداد وسمرقند ودمشق والقيروان والقاهرة وفارس وغرناطة وقرطبة وفاس كانت جميعها تحتوي على أهم المعاهد العلمية ، ومنها المدرسة النظامية ودور الحكمة والمدرسة المستنصرية في بغداد ، ومدرسة العادلية وغيرها في دمشق ، والصلاحية في القدس ، والجامع لاحمد بن طولون ومسجد عمرو والازهر ودار العلم للفاطميين في مصر ، وبقرطبة حاضرة الاندلس سبع وعشرون مدرسة ، كما كان بغرناطة كثير من الكليات والمدارس العلمية ، وفي أول الفتح كثرت المدارس العامرة بالمترجمين الباحثين في انطاكية والرها ونصيبين وحران وجامع القيروان ، وبعد انقراضه تكونت كلية الزيتونة بتونس والقرويين بفاس وغيرها من مختلف المدارس العلمية الكثيرة التي كانت بالمغرب الاقصى وأدت واجبها نحو العلم وتنوير العقول والمدارك وحمل لواء المدنية الاسلامية الغابرة .

أجل ! لقد شاطر المغرب في تكوين الحضارة وضرب فيها بسهم وافر فكان له في توجيه المدنية وتقدمها الأثر الفعال ، فقد كان عصر الادارسة زاهراً ببث الدين والعلم في الاوساط البربرية المخضرمة ، اذ بدأت تتكون النهضة العلمية الاولى منذ امارة المولى ادريس الثاني حيث قصده من الاقطار الاسلامية النائية كثير من العلماء والادباء والفضلاء فكانت عمارة فاس لما أنشئت سنة ١٩٢ هـ. مقصورة على الوفود الاجانب مثل الوفد الذي أتى من قرطبة سنة ١٩١ هـ. بعد تنكيل الامير الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الفاتح وحصاره لاهلها ، ويقدر بثمانية آلاف عائلة معظمها من الفقهاء والعلماء وهاجر ايضاً من القيروان والعراق كثيرون فاصبحت فاس عبارة عن عدوتين تنسب الاولى للاندلس والثانية للقيروان بحسب أكثرية من يسكنها . ولا ريب أنه لما أسست كلية القرويين ام البنين فاطمة الفهرية القيروانية سنة ٢٤٥ هـ. (٨٥٩ م.) في عصر الامير يحي الادريسي تكون فيها ميدان واسع النطاق للتقدم بالنهضة العلمية وتنوير عقول الشعب ، ولبثت تتعاقب الحركة في تطور وازدهار بتوالي هجرة الاساتذة المتشبعين بالثقافة الاسلامية المتنوعة من كثير الاصقاع و باقبال الطلبة على الارتشاف من هذه الينابيع العذبة ، ومما قوى روح النهوض وكان له أثر عظيم في جامعتنا تلك الهجرة الاخيرة للقيروانيين حيث ثار الاعراب على الصنهاجيين فتحول علمها الى فاس بمقتضى ما رحل اليها من العلماء والادباء والحكماء من مختلف الطبقات فخربت مدينة القيروان منذ ذلك العهد بعد ان كانت المركز العلمي الوحيد بافريقيا الشمالية ولم يبق لها أثر الا في بطون كتب التاريخ والتراجم . كما أن من أعظم الوفود الذين أتوا من الاندلس وفد فيه كثير من النبغاء والادباء والشعراء في القرن الرابع للهجرة لما اختلف بنو امية بعد موت محمد بن أبي عامر المنصور وابنه المظفر .

إن كلية القرويين أقدم جامعة كانت تزخر بالعلوم والمعارف لما توفر فيها من اقطاب العلماء المتبايني الميول والاتجاهات والاذواق والمذاهب ، ومنار وهاج يضيء باشعته افريقية الشمالية بعد خراب القيروان واضطراب قرطبة .

فقد اتفق المؤرخون على أن فاس منذ أسسها الامام ادريس الثاني قبل بناء القرويين بنصف قرن وهي دار علم ، ولم يكن هناك مصدر للعلم أوسع وأغزر مادة من القرويين يصلح لهذه المهمة ، أضف الى ذلك أن التاريخ لم ينص في عصر من العصور على معهد آخر كان ميدان حركة علمية رئيسية منظمة بفاس كالقرويين منذ وجدت الى الآن .

على أن اهتمام الدول الاولى التي نشرت نفوذها على المغرب في القرن الرابع الهجري بهذا الجامع دون غيره من المساجد لم يكن عبثاً فقد أدخل عليه تحسينات فنية أحمد الزناتي بامر عبد الرحمن الناصر أمير الاندلس سنة ٣٤٥هـ (٩٥٦م) فأبدل المنارة بتشييد اخرى أسمى وأفضل بهجة وأدق هندسة تلك التي نشاهدها حتى الآن ، واعتنى به أيضاً فزاد فيه زيادات المظفر بن المنصور بن أبي عامر سنة ٣٨٨ هـ. كما اعتنى به أبوه من قبل ، وما ذلك الا للمهمة العظيمة التي يؤديها للامم الاسلامية . فكل هذه البراهين ربما تكون كافية لتأييد نظريتنا فتطفئ غلة الباحث المتجرد عن جميع المؤثرات التي تضله عن محجة الصواب ، ولعل من يرى أن القرويين ما احدثت الا مسجداً للصلاة ثم تحولت بعد عصور الى جامعة يجهل أن من تعاليم الاسلام نشر العلم ومحاربة الجهل وتوسيع دائرة المعرفة الانسانية بكل الوسائل ويشهد لذلك تاريخنا الحافل ، فليس لنا عصر صراع بين الدين والعلم كما للكنائس المسيحية التي حاربت العلم محاربة فعالة امتدت الى القرن السابع عشر للميلاد فكانت من أسباب تاخر اوربا قروناً ، وغني عن البيان أن الاسلام في كل الظروف والاحوال كان بجانب العلم يؤيده وينصره ومساجده ترحب بكل من يبث العلم أو يطلبه .

والواقع أن القرويين كانت مزدهرة في كل عصور المدنية الاسلامية وبالاخص في قرون توالي الدول العظمى فقد كونت فيها كل دولة روح نشاط تناسب نزعاتها التجديدية ومبادئها السياسية فتتصل حلقات تقدمها من حين الى آخر بتجدد روح التقدم العلمي والنهوض السياسي والحق أنها وصلت الى حد كبير من العمارة والنضوج في عهد المرابطين فبذلوا كل ما في وسعهم لاصلاحها والقيام بما يحتاج اليه الطلبة من مرافق الحياة من ذلك مدرسة الصابرين التي بناها الفاتح الاعظم يوسف بن تاشفين فصارت تسمى في القرون الاخيرة بمدرسة أبي مدين ، وضريح ابن الغازي كان مدرسة في هذا العصر أو قبله ، وعلى أي حال فكلتا المدرستين ليس لهما أثر الآن ، وفي سنة ٥٣٣ هـ (٣٨ - ١١٣٩ م) زاد علي بن يوسف بن تاشفين في رحاب القرويين ونقش المحراب وجدار القبلة بافخر النقوش الفنية والتزويق بالذهب الخالص واللازورد واصناف الالوان المتناسبة وكان لذلك منظر فني رائع جذاب يماثل المساجد الاندلسية العظيمة الى غير ذلك مما يطول بنا استقصاؤه وحصره ، وحين توجه الموحدون الى فاس بطرق التجديد والاصلاح المبنية على البساطة والتقشف التي كانت مخالفة لمبادئ دولة المرابطين ازيلت النقوش الذهبية وكل المناظر الفنية مخافة غضبهم وذلك سنة ٥٤٠ هـ في أوائل القرن الثاني عشر للميلاد .

بيد أن للموحدين ايادي بيضاء في اصلاح الجامعة وكثيراً من الاعمال العظيمة كالترميم الذي قام به أبو حفص ابن يوسف بن عبد المؤمن سنة ٦٠٠ هـ. لما احترق قسم كبير من فاس فأصاب جانباً من القرويين . واذا ما تصفحنا عصر الدولة المرينية التي جددت حيوية النهوض بعد الموحدين وما تركت من المآثر الجليلة وجدناها تنبئ عن حضارة متفوقة في كل نواحي الحياة ، فقد أصلح القرويين يعقوب بن عبد الحق سنة ٦٨٢ هـ. (٨٤-١٢٨٣م.) وبنى مدرسة الصفارين

سنة ٦٧٩ هـ. (١٢٧٠ م.) وأوقف عليها ثلاثة عشر حملا من الكتب النفيسة القيمة من مختلف العلوم من تراث الاندلس التي بعث بها «سانجة» الطاغية ملك نصارى اشبيلية سنة ٦٨٤ بعد ما عقد الصلح بينهما، وليست هذه أول مدرسة اسست بفاس كما يزعم بعض الكتاب الافرنسيين فقد سبقهم بذلك دولة المرابطين كما مر واقتدى بيعقوب ابنه أبو سعيد من بعده فاقام مدرسة العطارين سنة ٧٢٠ هـ (٢٣-١٣٢٢ م) ومدرستا الاندلس والمصباحية أسسها أبو الحسن المريني وبنى خزانة القرويين أبو عنان وأوسع لطلبة العلم مجال البحث فملأها بالكتب النفيسة الدينية والفلسفية والطبية وغيرها وعين لها قيما يرعى نظامها وذلك سنة ٧٥٠ هـ. (١٣٤٩م.) فكانت في غاية ما يكون من النظام والتنسيق فقد قدرت النتفة من الكتب التي بقيت فيها الى هذا العصر بـ١٦٠٠ من المخطوطات من بينها الموطا من عصر المهدي بن تومرت وتاريخ ابن خلدون بخط المؤلف و ٤٠٠ من المطبوعات وأغلب الكتب نقلها المولى عبد الحفيظ الى قصره بفاس، ومن أهم مآثر ابي عنان مدرسته العظيمة التي تشهد باعتنائه الفائق بالثقافة والعلم.

ومجمل القول فان هذه نتف قليلة من بقية آثارهم الكثيرة التي شيدوها في معظم بلاد المغرب، وكان قصدهم الوحيد نشر العلم وتشجيع الطلبة وتنوير الافكار فزينوا القرويين بالخر التحف الرفيعة والثريات التي جلبوها من الاندلس (١٣٣٠ م.) وقد امتد الاعتناء بها الى دولة السعديين فارسل المنصور الذهبي الخصة العظيمة ومعها كرسي من المرمر وضعت عليه تلك التي تحت المنارة (٩٩٦هـ) وفي العصور الاخيرة قام ملوك الدولة العلوية بواجبهم نحو القرويين فثبتوا أركانها العلمية ولقحوا عناصر نهوضها فقد كان يحضر الدروس ويتعهد النظام الجامعي من حين الى آخر السلطان مولاي رشيد الذي زاد في حي الكلية مدرسة الشراطين ١٠٨١ هـ. (١٦٦٤ م.) التي كانت ضرورية لكثرة الطلبة الواردين من جميع الانحاء وسن لهم النزهة السنوية التي تكون منها مهرجان أدبي عظيم تنتج فيه القرائح انتاجاً رائعاً في مختلف ضروب الادب، وفي القرن الثاني عشر الهجري بنى السلطان مولاي محمد بن عبد الله مدرسة الجيسة كما أن المولى سليمان كان من دأبه زيارة القرويين وامتحان التلاميذ بنفسه.

وصفوة القول ان جامعتنا ظلت من أقدم العهود مركزاً رئيسياً للثقافة في افريقيا والغرب يهتدي بنور معارفها كل متعطش للمعارف، ومحج الطلبة من الاندلس ومصر وطرابلس وتونس والجزائر وانكلترا وفرنسا وايطاليا وغيرهم من الاصقاع النائية، متفرغين للدراسة يقطنون المدارس ويطعمون ويكسون سبع سنين من الاوقاف الخاصة بهم الى أن انفقها في الحروب آخر ملوك المرينيين ولم يبق منها الا النزر اليسير يصرف على الكلية الى الآن. وقدر مدخول احباس القرويين منذ بضع سنين بـ ٦٨٠،٠٠٠ فرنكا تنفق في اجور المدرسين مع بقية المصالح، على أن الفنون التي بقيت تدرس الى أواخر القرن التاسع عشر منها الفقه، والتفسير، والاصول، والبيان والمعاني، والبديع، والنحو، والمنطق، والعروض، واللغة، والتصريف، والتوحيد، والطب، والتصوف، والفلسفة، والادب، والجغرافية، والتاريخ، والجبر، والتنجيم، والهندسة بمؤلفات أعلام الملة وفطاحل علماء الاسلام نرجئ تفصيلها الى فرصة اخرى.

واستعراضنا الوجيز لاطوار القرويين في التاريخ يصور لنا بجلاء عصور النور التي وصل فيها المغرب الى أوج الحضارة والتمدن، فانجبت لنا الكلية رجالا عبقريين في كل نواحي

المعرفة فتركوا تراثاً قيما منه المعلوم، وكثيره في قسم المخطوطات في بعض خزائن المغرب واوربا مجهول لدى الجيل الحاضر ومنه ما اندثر بسبب الحروب والكوارث، وفي تراجم هؤلاء الرجال الذين تخرجوا من هذه الجامعة كثير من المجلدات الضخمة، فهي بحقّ أقدم كلية في العالم وعنصر قوي للحركة الفكرية، وركن من أركان المدنية الاسلامية الذي لم ينهد الا بعد انحلال أوصال الحضارة، ولسوف تسترجع مجدها الغابر ان ثابر الشعب المغربي على نشر العلم والثقافة، فتقوم نهضتنا وترتكز على اصول طبيعية يشاد عليها صرح المدنية والحضارة الحق.

أحمد بن احساين النجار

مصادر المقال

القرطاس – جذوة الاقتباس – زهرة الآس (طبعة الفريد بيل) – الاستقصا جزء ١ – تاريخ العرب في اصبانيا – العبر جزء ٤ – سلوة الانفاس – المعجب (الطبعة المصرية) – فاس وكليته Fès et son Université تاليف ج. دلفان – الذخيرة السنية (طبعة كربونيل) – مغرب الغد Maroc de demain تاليف پول مارتي – نزهة الحادي – اتحاف أعلام الناس.



غزل العقاد

(تابع للصفحة ٧)

أما طريقة العقاد فغير طريقة المبالغة العقيمة التي يقتصر عليها القاصرون، فهو اذا أراد تنبيه السامع أو القارئ عمد الى المعاني وجسمها تجسيما يبرزها صورا محسوسة تتراءى لعين الخيال تفاجئه بصدمتها وتستحوذ عليه فلا ملجأ له منها حتى ترتكز فيه وتؤدي للفكر المعاني التي افرغت فيها، وهذا هو سر الفنّ وروح الشعر، ومهما كانت هذه الصور الخيالية قريبة المأخذ معهودة الوقوع كانت أقرب الى الصدق وأشد تاثيراً في النفس، مثال ذلك قوله من « ليلة نابغية » وقد أراد تمثيل العذاب الذي يقاسيه في الليل الرهيب عند جفاء الحبيب وقد اخفق في السعي وراء التسلي والعزاء اذ العلل والاسباب التي يلتمسها ليسريّ بها عن قلبه تزيد ما به وكلما سد باباً من أبواب الالم الممض انفتح باب آخر قال:

فيالك من قلب اذا ما تعللت ... قلوب الورى لم يغن عنه التعلل
تعلق الا بالمحال رجاؤه ... وأقسم لا يلهو ولا يتأول
ضمنت كدفاع الضرام لواعجا ... أأنت لنيران اللواعج هيكل
فيامن يراني والفؤاد كانه ... ذبيح تشظى في تراقيه منصل
ويامن يراني والظلام كانه ... اذا الليل اغضى قاتل يتزمل
ويامن يراني والنجوم كانها ... نواظر من خوف الغياهب تقفل
كان الفضاء لم ير الشمس مرة ... ولم يسر فيه بدره المتهلل
أبيت وبي ليلان ليل صباحه ... يرجى وليل مدبر الصبح مقبل
اضمد جرحي باليدين وفيهما ... جراح يغشيها النجيع المسلسل
واحمل نفسي وهي ولهى طليحة ... اذا التام منها مقتل سال مقتل
اذا أدبر الليل استرحت وانما ... يوكل بي الليل الذي هو أطول

فليقرأ القارئ هذا البيت:

فيامن يراني والفؤاد كانه ... ذبيح تشظى في تراقيه منصل

ثم فليتخيل بعد – وهو مجبور على ذلك – صورة الذبيح الذي بلغت القسوة بذابحه الى أن تكسر المنصل في تراقيه ولينزع الفكر منها ما شاء من معاني العنف والالم والارتعاش.

ومن هذا القبيل قوله:

هل علمت الجمر مفترشاً والصلال السود تحتضن
ذاك أو حمى تضمنها جسد واهي القوى ضمن
تتلقاه بصرعتها فيحار الموت والوهن
بعض ما نلقاه من شجن بك والنوام قد سكنوا
عند ما يخلو الظلام بنا حيث لا عين ولا اذن

فهذه ابيات تتلو امام الخيال صورا متباينة لانواع العذاب وانظروا الى الشاعر كيف شخص الظلام واسند الخلوة اليه كانه الموكل بتعذيبه حيث لا عين ولا أذن، حيث لا منقذ ولا مغيث وفي ذلك ما فيه من انواع الرهبة والهول، وأمثال هذا في شعر العقاد كثيرة يخلص الفكر منها بسهولة الى المعاني المصبوبة في الصور المحسوسة وسرعان ما تنطبع في الذهن وتستقر فيه لقرب الصور من الواقع الملموس ولا حاجة بعد ذلك الى التفنن في ضروب الاغراب والتوغل في أنواع المحال لنفور النفس السليمة منها والاستخفاف بها وحملها على العبث والبهتان.

نرى العقاد كما قلنا يجنح الى الاعتدال والقصد ونراه ايضاً يتوخى الامانة، يصف العقاد كل ما يجول في نفسه ولا يبالي أكان ذلك من اللائق بالعرف المصطلح عليه عند جمهور شعراء الغرام ام كان من المخالف لقواعده أو المناقض لشروطه فما منهم مثلاً الا من حتم طاعة الحبيب والنزول على حكمه جار أم عدل ووصل أم هجر وما منهم الا من يرى التذلل للمعشوق من أسمى ما تسمو اليه النفس العاشقة الا ان بعض الطبائع لا ترضى بالذلة حتى في الحب ولا تخنع لعسف الحبيب ولو بلغ بها الولوع ما بلغ كذلك طبيعة العقاد وهو يخبرنا عن نفسه العاشقة الابية من غير مبالاة ايثاراً للصدق وحباً للامانة يصرح بان من عادته ودأبه أن لا يتلهف على الاحباب المفارقين له فيقول:

يا غاضبا ليس يرضى جاوزت حد التصبي
علام هذا التناءي وفيم هذا التأبي ...
ليهنك اليوم قلب تصيده بعد قلبي
ليس التلهف يوماً على المفارق دأبي

وربما سبق هو الى الهجران فقاطع الحبيب في ساعة الغيظ ولكن سرعان ما تفتر شرة الغضب وتنقشع سحابة الجفاء اذا استعطفه الحبيب وسرعان ما يتفجر الرضى والعطف من قلبه في أبيات سهلة عذبة خلابة يتلطف فيها لحبيبه ويلتمس له المعاذر فيقول:

تخافين العتاب فلا تخافي وترجين المآب غداً فأوبي
فديتك هل رأيت فتى محباً يضن بما رجوت على حبيب
تعالي واطمعي في الصفح مني أليس الصفح من شيم الاريب
وان أسلفت لي ذنباً فأني أحب الله غفار الذنوب
أرى هجريك من غضب عقابا أكابده وما أنا بالمريب
فان أنا جدت بالحسنى فاني أجود بها على قلبي الغضوب

ومن ذا من شعراء الغرام من يفضي الينا بفرحه واغتباطه عند ما ينال رضى الحبيب وينعم بوصله لا نجد في اشعارهم - قاتلهم الله - الا صدى ما يلقونه من البؤس والشقاء أما سعادة الوصال فهم يغارون عليها كما يغارون على احبابهم أو يخشون عليها اصابة العين فهم ابداً يحيطونها بالسكوت والاخفاء كما تحاط النفائس بالتمائم والرقى.

أما العقاد فلا يستأثر علينا بشيء من ذخائر احساسه ولا يستبد دوننا بشيء من كنوز أسراره فاذا غشيه السرور بدت عليه امرات البشر وجرت في اعضائه خفة النشاط ونطق لسانه بقريض النشوة والحبور، مثال ذلك قوله:

ايها الباحث عن كوثره في السماوات لقد شط المزار
انما الكوثر ثغر باسم من حبيب لك مامون النفار
ان تسل عنه فاني دقته خير ما يسقى ويجنى ويشار
لا تقل شهد فللشهد اذى أو تقل خمر فللخمر دوار

وقوله:

قال لي لما عراني فرحي بجنون أكذاك الشعراء؟
ما عهدناك لجوجاً نزقا سرك الدهر بشيء أم أساء
قلت فانظر يا حبيبي عجباً كيف بالحب يجن العقلاء
انما الحب شراب عاصف يسكر الراوين والظماء
هات خديك وجيداً وفماً طال والله بنا عهد اللقاء

وهكذا نرى العقاد يفضي الينا بما يقع له من الاحداث الغرامية صغيرها وكبيرها في مقطعات وقصائد تنفث فيها عبقريته روحاً شعرية عالية وتكسوها طلاوة وجمالا. فمن ذلك « تبكين - وردة بلاشوك - منك اليك - عيوب المحب - صافحيني - طلب صورة - اعتراف - تفاح - ساعة في اليد » وغيرها وكلها من لذيذ المناجاة الذي يأخذ بمجامع القلوب.

قلنا ان من المزايا التي يمتاز بها غزل العقاد الصدق وكذلك من

تاسيس . . .

كان الوقت وقت صباح ، صباح ضاحك مبتهج بما حوله من طبيعة متحفزة واثبة ، ولا شيء الا وقد أعدته هاته الطبيعة بعدواها القاهرة فغدا ضاحكا باسماً ، متحفزاً واثباً ، انظر إلى الماء السلسبيل فلمَ يسعى حثيثاً لا يقر له قرار

مزاياه وخصائصة العفاف ، غزل العقاد لا يندى لسماعه جبين المتحرجين ولا تستنكف من روايته العذارى لانه عفيف في لهجته عفيف في لفظه عفيف في معناه ، غير أنه يمتاز في عفته عن غزل العذريين مباين لذلك الغزل العذب الساذج الذي اخصب ايام بني امية في بادية الحجاز ، عفة العذريين عفة أرواح لا عفة ابدان ان صح هذا التعبير فالرواة متفقون على أن جماعة المتيمين لذلك العهد سعوا في التزوج مع حبيباتهم فمنهم من نجح سعيه كقيس بن ذريح ومنهم من أخفق كقيس بن الملوح وجميل بن معمر ولكن الكل نزع الى التمتع بجمال عشيقته الذاتي وارضاء ميوله الحيوانية فلم يكن هناك داع للعفة عندهم سوى الرغبة في اجتناب الخنا والانحراف عما يخالف الدين ويخل بالمروءة ولم يكونوا يانفون من التلذذ المباح الذي سوغه الشرع للزوج بزوجته ولم يقصروا حبهم في حياتهم كلها على امرأة واحدة وألزموا نفسهم الوفاء لها الا لان كل عشيقة كانت في نظر عاشقيها مثلا أعلى للجمال ، فوجب عفتهم الدين والتقوى وموجب وفائهم ما كانوا يتخيلونه من اسمى مراتب الجمال أما غزل العقاد فيمتاز بعفة الروح والبدن معاً فالعقاد في حبه لا يتطلب الاستيلاء على جسم جميل يتمتع به على مقتضى السنة الطبيعية المعهودة وأما وفاؤه فليس بالوفاء لشخص معين ولكن للجمال حيث كان وايما ظهر لا فرق في ذلك بين الجميل والجميلة واصل هذا العفاف وهذا الوفاء فلسفة خصوصية في فهم معنى الجمال ومزايا الحب .

بيد اننا قبل أن نعرض لهذا الرأي بالشرح والبيان نرى من المفيد ان نتكلم أولا على الاشكال التي يظهر فيها عفاف العقاد.

(يتبع)

حتى كانه على موعد من اليفه الذي ملكه لبه ، وشغفه حباً ، وأبى عليه الا الاسراع والشكوى ، والاشجار تهتز فرحاً بملاقاة حبيبها النسيم البريء ، حبيبها الذي لا تكاد تصفو لها الحياة بدونه ، وأي حب متبول لايجد السعادة والهناء في الوصال ؟ وأي عاشق ولهان لا يخفق قبله عند ما يرى محبوبه يخطر في ثيـاب العز والجمال ؟ وأي صب لا يرق فؤاده ... فؤاده الذي اوقدت فيه لوعات النوى ناراً بطيئة الخمود فزادها الشوق ضراماً وضراماً . . . اذا من باللقاء ؟ أفي هذه الدنيا من يسمع لمعبوده صوتا ملائكياً خالداً فلا يشعر بالملكوت والخلود ، وتغمره قشعريرة كلها زهو وكبرياء ؟ والطير تشدو بألحانها العذبة المشجية لكل كبد حرّى . والسماء قطعة فنية سامية علاها غيم شفاف كبرقع مصري يكسب الوجه جمالا ورونقاً ، والحياة غارقة في بحار اللانهاية تلعب بها الامواج فترسب ثم تطفو لاهية عن كل شيء يقف في سبيلها أو في سبيل لعبها المرح المختال .

هناك . . . . داخل هذه الجنة الوارفة ، على ساحل نهر يتدفق تدفق خواطر مهموم ، وتحت سماء نصف لازوردية جلست فتاة فاتنة قواماً وحسناً ، لا يزدهيهـا شيء مما حولها . الكل يبعث على الضنى ، والكل يحمل في طياتها أسى وألماً ، ما لوجهها تعلوه صفرة لطيفة ازدهى الخد لطروئهـا وصار يغري كل ناظر اليه . . . يغريه بالصلاة والتقبيل !؟ وما لعينيها الساحرتين اللجوجتين اللتين تبرئان كل قلب برح به الهوى لا تستطيع طب هذا الجسد الرجراج ، أو رد قلبها الى الايمان والاطمئنان ؟ أهي على موعد امتد حتى طفقت تعد دقات قلبها عداً ؟ إن الحب لقاهر مستبد لا يعرف رحمة ولا شفقة ، ومن دخل حظيرته لايسمح له حتى بالتنفس الحر إلا باحصاء ورقابة عاتية ! أهي ممن قضى عليهن باعطاء الزمام لهذا

القائد الجبار ، أو انما هي فكرة استولت عليها فكستها ذهولا سائداً وشغلت فكرها عما حواليه من بهجة وسعادة وحياة .

— آه ! إني أرى نفسي مضطرة الى مبارحة هذا المكان.

وقامت تعتمد على نفسها مضطربة حائرة لا تدري ما تفعل ولا ما تذر . وبينما هي سائرة الى مضجعها لتاخذ حظها من النوم عله يخلصها مما هي فيه اذ فاجئتها اختهـا آتية اليها كعادتها عند كل صباح .

— فاطمة ! الى أين ؟

— .....

— ليس من عادتك أن تهجري روضك البهيج الرابي. من يعطف على سوسانك المتسق الجميل ؟ آه والبنفسج ؟ من له يواسيه في هذا الصباح الندي الزاهي ؟ إنك رحيمة رؤومة فمن عدى عليك فأقسى قلبك العطوف ؟

— .....

— أم البنين ! تكلمي . الصباح ضاحك ، والنبات ضاحك ، والطير ضاحك ، والسماء ضاحكة ، فلم لا تضحكين ؟ وأزهـارك ترقص طربا بثغرك البديع الذي ما كانت تفـارقه الابتسامة الساحرة ... الساحرة حتى للبنفسج السمنجوني الساحر نفسه .

— ليس الثغر الذي يضحك ، انه القلب . فاذا كان القلب مظلماً بارداً ، فالحياة مظلمة باردة ، انه والله القلب . وها أنا ذا المس قلبي فأجده لا حساسية فيه ولا شعور . ليس اليوم كالامس ، كل شيء قد سطت عليه الطبيعة فرقص وغنى وضحك... الا قلبي ، فانه جامد ، لا يكاد ينبض . حتى هذه الارض المعشوشبة فانها عندي عدواء .

— وما الذي طرأ على هذا المصباح المشرق فأطفأه ؟ ومن سطا على هذه الزهرة اليانعة فقطعها قطعاً ؟

— ومن يدري ؟ إلا أنني رأيتني في المنام كأنني على سيف بحر هائج تتلاطم عليه أمواج ، وفي ثبجه شبان يقاومون اللجى بما في وسعهم من قوة حتى اذا أشرفوا على الهلاك والموت الاسود وجدت في نفسي ميلا شديداً الى انقاذهم جميعاً ، ومن لي بقوة كهاته وأنا امرأة ضعيفة ؟ وأنا فتاة لا أحسن السباحة . ولكن الضرورة تفتق قوة لا عهد للانسان بها ، وتضطره الى خوض أهوال ، وتبعثه على التضحية الشريفة الغالية ! فرميت بنفسي في الخضم وشرعت في اخراج الواحد تلو الواحد الى أن أتيت عليهم . فلما كانوا كلهم على الساحل صاحوا : هذا ملاك ولا ريب ، ملاك بعثه الله الينا للافراج عنا ، وما وقع صوتهم في مسمعي حتى أفقت فوجدت نفسي في حلم .

— وهل هذا يا اختاه مما يوقع الراءي في ضيق نفس وخبال ، وينسيه نفسه وما يعتورها من ابتهاج وانشراح ؟

— لا تعليل لهاته النفسية . إنني حزينة وكفى .

— ومع ذلك فالحلم لذيذ . ليس فيه ما يزعج البال ، أو يقلق الخاطر . يا الله ! أأنت من اولئك الذين انعكست حواسهم ففهموا بها عكس ما يجب أن يفهم ؟

— إذن ما تفسير هذه الظاهرة ؟ لا. لا. دعينا من الخوض في النفسيات وأبدي لي ما فهمت من هذا الحلم الذي تزعمينه لذيذاً .

— تلك صدقة جارية . رؤيا غريبة ما سمعت قط بمثلها على تسمعي للغرائب والنوادر والسمر . وأرى إنك ستنقذين شباباً من مهواة البؤس والشقاء ، من بحر يزدرد حياتهم ازدراداً ويهوي بهم في مكان سحيق .

— لا زلت أحس الغموض ، ولا زال قلبي يجب كأنه فريسة بين ساعدي أسد . آه ! من لي بالاطمئنان ، من لي بالايمان الذي لا يداخله شك ، من لي بان أتذوق لذات الحياة لحظة ثم أقضى...

— فاطمة ! اتئدي . أم البنين ! لا تسلمي نفسك للاوهام ، اطمئني وأبردي قلبك بالصلاة .

— صدقت يا عزيزتي . لا أجد راحة الا في الصلاة ، الصلاة وحدها هي الدواء الناجع للمحزون ، الصلاة وحدها هي الغيث الصيب للافئدة المجدبة ، الصلاة . طوبى للمصلين ! طوبى لمن تتوجه نفسه لله فيركع ركيعات خالصات لا رياء فيها ولا سمعة ، وينشرح صدره طمانينة وايمانا .

— وما يعوقك عن هذا وأنت منه على قاب قوسين؟

— تعوقني عنه فكرة... فكرة جليلة ، اريد ابرازها من عالم الاحلام الى عالم الحقيقة . إن رؤياي لتستحثني على فعل مشروع ، بيد انه ما هو ؟ هذا هو الذي أرقني ليلتي هاته ، وأنامني على فراش من قتاد ، وصير في عيني البياض الوابص حالكا دجوجيا . فكرة قديمة اضطلعت بها من مسقط رأسي القيروان ، ولكنك - يا اختي - لا تعلمين منها شيئاً ، لانني كنت أستر ذلك عن زوجي - برد الله ثراه - والآن وقد طفح الكأس وامتلأت نفسي بالخواطر مما يتراءى لي لم اقدر على حمل هذا العبء وحدي ، ولكني سأجعلها عبرة الدهر ، وستبقى مفخرة لمن بعدي ومثالا يحتذى . قومي بنا الى الصلاة... وسترين .

***

وكان بناء مسجد القرويين ، وكان الجامع الذي اسس على التقوى من أول يوم ، وكان وضع لبناته منتقاة مختارة بشرى لانتقاء علمائه بعد ، بشرى الحدث الجلل الذي تتمخض به الدنيا الجديدة . وأخيراً كان المعهد الفذ الذي سطع نوره والتمع بريقه في ذلك الليل المدلهم فاهتز له العالم ، وأمه كل متطلب للسعادة ، الروحية ، الابدية . أفلا تجب اقامة الذكرى لتلك المؤسسة الماجدة ؟ ألا رحم الله أم البنين ؟

علال الجامعي الهلالي

جـائزة المغرب

احدثت هذه الجائزة بقرار صادر بتاريخ ٣ مـارس ١٩٢٥ يقصد بها رفع مستوى العلم والتاريخ والتأليف بالفرنسية فحسب، وقد سبق لنا في غير ما عدد أن نبهنا ادارة المعـارف الى مشاركة المسلمين الذين لهم باع ومقدرة في العلوم العربية في هذه الجـائزة وان لم تكن لهم معرفة باللغة الافرنسية التي يفوتهم التأليف بهـا. وكان لملاحظتنا التفات خاص وتقدير ملحوظ فعُدِّل القرار السابق بقرار جديد صدر في تاسع ماي من السنة الماضية يشمل التأليف باللغة العربية ايضاً، وهذا حق من الحقوق التي نالت الاجابة والعطف من لدن ادارة المعارف، ويسرنا أن نال الجائزة المقررة هذه السنة صديقنا وصفينا العلامة المؤرخ الكبير نقيب الاشراف العلويين مولاي عبد الرحمن بن زيدان.

والنقيب الزيداني غني عن التعريف فله من الشهرة الواسعة والصيت البعيد ما لا يحتاج معه الى تقدمة الى القراء، وقد قرؤوا من ابحاثه القيمة العلمية والتاريخية في هذه المجلة الشيء الكثير، ومؤلفاته المطبوعة والموجودة قيد الطبع كثيرة متعددة تدل على نشاطه الفكري الواسع، وجهوده المتناهية في خدمة التاريخ المغربي وقد بذل ثروته وأنفق ماله في سبيل المكتبة العلمية، وحفظ تراثها وابراز مكنونها، وهو فوق هذا اديب رقيق له مكانته في عالم الادب ومقامه العالي في ميدان القريض فلاغرو أن نال هذه الجائزة العلمية السنية وظفر بها وهو من هو علماً وأدباً وأخلاقاً وكرماً. وانا لنهنيه من صميم القلب تهنئة خالصة ونتمنى له مزيد الشفوف والحياة الطيبة الموصولة في خدمة العلم والتاريخ والادب، وقبل أن ننتهي من حديث الجائزة نذكِّر ادارة المعارف أن في قرارها اعطـاء الجائزة للمغاربة مرة واحدة في ثلاث سنين حيفا، وما دامت لم تقرر التساوي في منحها بين المسلمين والفرنسيين فذلك اجحاف باد وايثار ظاهر، ونحن نتمنى ان توفق فتظهر المساواة المطلوبة والمنتظرة بين الجميع من غير تفريق بين العنصرين.

ج

المترجمون المسلمون

بلغتنا عريضة من بعض المترجمين المسلمين تبسط بعض مطالب ترمي كلها الى رفع الفروق التي أقامتها الظهائر والقرارات الوزيرية بينهم وبين غيرهم من المترجمين، والحق أن هاته الفروق لايبررهـا عقل ولا قانون ولا مصلحة عمومية ولا سياسية، والمترجمون المسلمون لا يقلون عن غيرهم ثقافة وعملاً وحسن سيرة، بل جلهم في الحقيقة احسن من اخوانهم الفرنسيين والاجانب. ومما يلاحظ أن هذه الفروق لم تكن في عهد المقيم الاول المريشال ليوطي، وبما أن سياسة المقيم الحالي سعادة الجنرال نوجيس تقصد كثيراً الى احياء سياسة المشير، فاننا ننصح المترجمين أن يرفعوا مطالبهم الى جانبه رأساً بدل الاكتفاء ببسط شكواهم الى رئيس مصلحة الموظفين الم. بلان ديكولي وسواه من الموظفين القاصرين عن فهم شؤون هذه البلاد.

تصويب

سقطت بآخر مقال مساعدنا النبيل سيدي عبد الكبير الفاسي بعض جمل فنثبتها هنا، ونص الاصل:

«تتجلى في مراكش الحضارة المغربية في أجلى مظاهرها سواء في مبانيها أو تقاليد أهلها وعوائدهم لا تسمع فيها رطانة في الاسماء تنبئك بأن القوم جلبوا اليها من بعيد جلباً كما هو الواقع في غيرها اذ اهلها اما عرب واما برير مستعربون من قبائل الاطلس المجاورة لها. ناسها انس واهلها أهل يغنون عن الاهل عرفوا بالطف النكتة وحلاوة الحديث والمجاملة في المعـاملة، لهم نخوة وبهم زهو ليس كتلك الكبرياء التي عرف بها غيرهم وما وراءها الا فراغ في فراغ في فراغ».

وفي صحيفة ٣ سطر ٢٥ كما أن وجوها، اقرأ وجودها.

الاحسان والتعليم

أشرنا في العدد الاخير الى ما تبديه الصحافة الفرنسية منذ أشهر من اعتناء ببعض شئون الاهالي وذكرنا من جملة المسائل التي تناولتها الصحافة مسألة البؤس المنتشر في البلاد وحذف بعض الضرائب وحماية الفلاح بتأسيس ملك عائلي لفائدته واعانة أهل الحرف والصنائع وتنظيم طرق الاحكام الخ.

وكذلك نجد منذ اشهر في أقوال الساسة والولاة الكبار مثل هذا الاعتناء بمصالح المسلمين، بل اذا كانت الصحافة الفرنسية اقتصرت على مسائل يرجع كلها الى الاسعاف والاحسان وحماية الحقوق باصلاح المحاكم فانا نجد في كل التصريحات الصادرة من الوزارة الفرنسية ومن نوابها بهذه البلاد كبير اهتمام بمسألة التعليم ايضاً.

والاسعاف والتعليم غرضان اساسيان لم يخل عدد من اعداد هاته المجلة من التحدث عنهما والتنبيه اليهما، ويروقنا ان نرى اليوم من الصحافة الفرنسية والدوائر الحكومية اهتماماً خاصاً بهما الى حد ان التصريحات الرسمية كثيراً ما تقرن في الذكر الاسعاف والتعليم على النمط الذي توخيناه هنا.

فمن كلام لفخامة المقيم العام بالايالة التونسية م. أرمان كيون: « ان أهم ما توجه اليه العناية الاسعاف والتعليم »، وفي خطب المقيم السابق م. مرسيل بيروتون وعود صريحة بمقاومة المرض والجوع بتوسيع نطاق الاسعاف وتأسيس ملك عائلي للفلاح وابطال الترتيب ومحاربة الجهل بتكثير المدارس[1]، ومن خطبة لجناب الجنرال نوكيس: « ان المهمة التي لا احسن منها في الوقت الراهن هي ضمان المئونة الكافية وايجاد مساكن مناسبة لفلاحي البوادي وصناع المدن» الى ان قال: « فلأجل الوصول الى هذه الغاية المزدوجة قصد امدادهم عن سخاء بالمساعدة المادية والادبية وبفضل العناية التي توجهها الحكومة الى هذا المشروع البشري الشريف سنبذل خلال هذه السنة مجهوداً كبيراً لتوسيع نطاق التعليم الاهلي وتنمية وسائل الاسعاف الصحي والاجتماعي »، ومن خطبة لسعادة وكيل وزارة الخارجية م. فيينو: « وهناك مشروع جليل يجب انجازه في باب الاسعاف من المحافظة على الصحة والنظافة والاحتياط الاجتماعي وفي شأن التعليم وكذلك في شأن المؤسسات الفلاحية بالبادية ».

(1) عبارة الاصل Multiplication خلافاً للنص العربي الذي نشرته الادارة.

وقد قدمت هاته السنة خزينة فرنسا الى المغرب وتونس قدراً من المال لصرفه في سبيل الاسعاف والتعليم.

فهذا الاتجاه من طرف الرأي العام الفرنسي والحكومة مما يدل على ان امراض المغرب صارت الآن معروفة لدى الجميع كما ان علاج هاته الامراض لم يبق خافياً على احد، وبقي الآن تحقيق ما نعلق على ذلك من امل، وقد نلاحظ اننا الى حد الساعة لم يبلغنا نبأ الشروع في تشييد مدرسة جديدة او ـ على الاقل ـ خبر برنامج للتعليم قد اذيع على الناس، والى الآن لا نكاد نقرأ في الظهائر والقرارات التي تملأ صحائف الجريدة الرسمية كل اسبوع سوى ما نقرأ فيها عادة من ترقيات للموظفين واعانات للمعمرين، وهذه أعوام ونحن نطلب من جملة ما نطلب تأسيس ملك عائلي للفلاح، ولا يستلزم ذلك مالا من الميزانية، فالارض موجودة، ولا يستلزم ذلك اجهاد فكرة، ففي القانون المدني الفرنسي وفي البحوث والقوانين الاجنبية التي نشرناها غنى عن أدنى حركة ذهنية. فكل ما يتطلبه الامر طفيف عمل مادي وبسيط لاغير، وهو كتابة ظهير لا يعجز المغرب عنه ولة من الموظفين العدد الكافي للقيام بكل شئونه، ومع هذا فالى اليوم ما نزال في الانتظار، وهذا مثال اخترناه قصداً لان موقف الحكومة فيه لا يستند الى عذر من سياسة أو ظروف اقتصادية أو أسباب مالية.

فاذا لم نشاهد تبديلاً في تسيير شؤون المغرب رغم الاتجاه الحسن الذي ذكرناه فذلك يرجع الى النظم السياسية والترتيب الادارية التي لا تناسب اغراض الوقت فمن شأنها أن تقوم حجر عثرة في سبيل كل تجديد.

ولهذا فمن الضروري اصلاح هاته النظم والترتيب اصلاحاً يلائم نيات الدولة وممثليها الاعلين.

ثم انه ينبغي للامة من جهتها أن تقوم بنصيب من العمل ولا تتكل على الحكومة في كل شيء. والواقع أننا اهل «توكل» نعول في قضاء الحاجات على الدعوات وبركات الاموات وسر التمائم. حالة أن الاسلام دين قوة، ولكن المسلمين نسوا الله فأنساهم انفسهم، فهم لا ينتبهون أبداً لانفسهم ولا يعتمدون عليها في أمر.

وأدل دليل على صدق قولنا هذا مسألة التعليم. فالامة كلها من رجال ونساء وشيوخ وشباب، تعرف فضل العلم وانه لا حياة الا بالمدرسة، وهي تعلم أيضاً أن المغرب متأخر عن غيره من

الاقطار في ذلك، فالايالة التونسية التي لا يتجاوز عدد سكانها ربع المغرب، تعلم ٧٠٠٠٠ تلميذ في مدارسها الحكومية، بينما نجد في مدارس المغرب ١٣٠٠٠ تلميذ فقط. وبالايالة التونسية ٢٢ مدرسة حرة عصرية، وبالمغرب مدرسة واحدة، ثمرة تضحية فرد. وفي تونس يشتمل جامع الزيتونة على ثلاثة آلاف من الطلبة، ويمنح هذا الجامع من ٢٠٠ الى ٣٠٠ شهادة بين تطويع وعالمية في السنة، بينما جامع القرويين يشتمل على ١٠٠٠ أو ١١٠٠ تلميذ ولا تتجاوز شهاداته ثلاثة أو أربعة في العام. وفي القطر الشقيق عشرات من الاطباء وعشرات من اصحاب شهادات الحقوق وغيرها من الشهادات العالية، وآلاف من حاملي شهادات التعليم الثانوي. ونجد في المغرب من متخرجي الكليات العصرية ثلاثة محامين، وطبيباً واحداً وهو في خدمة الحكومة، ومدرساً له شهادة الليسانس في الادب لاغير.

فالواجب يقضي علينا ـ والحالة هاته ـ أن نعني بمسألة التعليم فلا نكتفي بمجهود الحكومة وحده، بل نساعد هذا المجهود ونطلب من أنفسنا القيام ببعض مشروعات كتأسيس جمعيات لفائدة طلبة المدارس واصلاح الكتاتيب القرآنية وتأسيس مدارس اصلاحية وتنظيم بعثات علمية ودروس عمومية لمحاربة الامية الى غير ذلك من وسائل السعي في سبيل العلم واخراج هذا الوطن العزيز من ظلمات الجهل المقيت.

والعمل الذي يتطلبه المغرب لايخرج عن دائرة ما يقدر عليه، فلا يحتاج الا الى فئة قليلة من العاملين وشيء قليل من المال.

وقد ذكرنا في مقالات سابقة ما رُدَّ به علينا من أن الناس يبخلون بالمال. ونقول من جديد أننا لسنا على هذا الرأي، فالمغرب يدفع ما يزيد على مليار أي الف الف فرنك للخزينة الدولية، فليس بالعسير عليه أن يدفع فرنكاً واحداً يصرف تحت نظره وفي مصلحته الخاصة، عن كل ألف فرنك تخرج من جيبه ضريبة، والمغرب يصرف في عيد الاضحى ما يزيد على خمسين مليونا من الفرنك، والضحية سنة مع الاستطاعة. فحاشاه أن يبخل ببعض ذلك كجلود الاضحية في سبيل العلم الذي هو «فريضة على كل مسلم» من ذكر وانثى.

فهذا شأننا. ورغم ذلك، لم نر الى حد الآن من بيننا حركة تذكر لفائدة هذه المسألة الاكيدة.

فمن الضروري أن نصلح انفسنا وان نشارك الاتجاه الجديد ـ ليكون له كل الأثر المنتظر منه ـ بقسط من العمل.

الكتب والنشريات

(الاطلس) لم يخب ظن المغاربة في الحكومة الفرنسية ولم يضع املهم في ممثل فرنسا سعادة الجنرال نوكيس الذي أظهر عطفاً محسوساً نحو مطالب الاهالي الضرورية العادلة التي كانت في مقدمتها حرية الصحافة بالمغرب، هذه الحرية الصحافية التي لا مندوحة عنها لامة لها مكانتها ووجودها فوق سطح الارض وتستطيع بها وحدها أن تجهر بمطالبها وتنطق بحقوقها المهملة المنسية منذ سنين.

وقد صدرت قرارات وزيرية اخيراً ترخص لاربع جرائد البروز بالمغرب، كما سبقت منا الاشارة الى ذلك في غير هذا المحل.

وبين أيدينا الآن من تلك الصحف المغربية الجديدة جريدة «الاطلس».

وقد تصفحناها بلهفة فاذا هي حاوية لكل طريف مفيد حافلة بالبحوث الكثيرة والمواضيع المختلفة ما بين أخلاقية وسياسية واجتماعية واصلاحية مدبجة باقلام نخبة من كتاب المغرب ومصلحيه، وهاته الجريدة لسان كتلة العمل الوطني وتعد باعتدال لهجتها وقوة اسلوبها وصراحة كتابها لسان الجمهور المعبر عن آلامه وآماله، فندعو لرصيفتنا الراقية بمزيد التوفيق والنجاح واطراد الاقبال والانتشار.

أسبوعية، يديرها الكاتب النبيل الاستاذ محمد اليزيدي، الادارة بالرباط شارع غورو تلفون ٣٦-٢٢، قيمة الاشتراك للسنة ٢٥ فرنك للمغرب والاقطار التابعة لفرنسا و ٣٥ فرنكا لباقي الاقطار، شيك بوسطو رقم ١٤٩١. AL-ATLAS, Avenue Gouraud - Rabat

⁂

(Abushady The polt a Critical study)

ظهر حديثاً في عالم المطبوعات بحث باللغة الانجليزية تحت هذا العنوان فهو كما يرى القارئ من هذا العنوان بحث تناول المؤلف فيه شعر ابي شادي الشاعر المصري الذي يعلم هواة الادب ومن لهم المام بالحركة الادبية الحديثة أنه من أنصار التجديد العاملين على بعث روح فنية في أدبنا العربي فليرجع القارئ الى هذا البحث ولينظر كيف استطاع مؤلفه أن يضع ايدينا على محاسن هذا الشاعر الجمة تلك المحاسن التي لانفتأ تبعث فيك الاعجاب سواء في ذلك غزله وطبيعياته ووصفه.

Imp. Nouvelle - Rue de la Mamounia - Rabat - Le Gérant : Boubker ZNEBAR المطبعة الجديدة ـ نهج المامونية ـ الرباط ـ وكيل المجلة : ابو بكر زنيبر